كلمة مدير جامعة المعرفة العالمية

فضيلة الشيخ الدكتور/ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فما من شك أن نشر العلم من أفضل القربات التي يزدلف بها إلى الله تعالى، وقد تضافرت النصوص الشرعية في الحث على نشر العلم، من مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧] وقال النبي ﷺ: «بلّغوا عني ولو آية» أخرجه البخاري في صحيحه. وما كان العلماء ورثة الأنبياء إلا لأجل حفظهم علم النبوة، ونشرهم له، فكانوا مأمورين بتبليغ العلم ونشره. ولذا شُبّه عالم الشريعة بالقمر لأجل اشتراكهما في النور، ولاستمدادهما نورهما من غيرهما، فالقمر يبدد ظلمات الأرض، والعالم يبدد ظلمات الجهل بما يستمده من نور الوحي، ولهذا قال ابن المبارك ـ رحمه الله تعالى ـ " لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم"، وقال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: "ليس أفضل عند الله ممن يقيم الحجة على عباده".

وقد أجمع المسلمون على أن الدعوة إلى الله تعالى، ونشر العلم فرض كفاية. ومن هذا كله؛ انبجست فكرة جامعة المعرفة العالمية، القائمة على نشر العلم، واستثمار التقنيات الحديثة لبث العلم، وتذليل العوائق الزمانية والمكانية التي تعيق التواصل مع أهل العلم الموثوق في علمهم وأمانتهم، فهي جامعة غير ربحية تسعى لنشر العلم الشرعي عن طريق ما بات يسمى "التعليم عن بعد"، وتقوم هذه الجامعة بمحاولة تجسير التواصل بين أهل العلم الموثوق في علمهم وأمانتهم، وبين طلاب العلم في جميع أنحاء العالم.

ويقوم على هذه الجامعة ثلة من أهل العلم تحمل على عاتقها نشر دعوة الحق، وتبصير الناس بدينهم على هدي الكتاب والسنة.

فقد تشرفت الجامعة بالرئاسة الفخرية من صاحب السمو الملكي الأمير/ سلطان بن عبد العزيز آل سعود ـ ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع والطيران والمفتش العام. حفظه الله وأيّده.

وتشكل مجلس أمنائها برئاسة صاحب السماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء، وعضوية نخبة من الشخصيات البارزة في العالم الإسلامي.

ومن ضمن الأعمال العلمية التي ترعاها الجامعة طباعة الكتب في مختلف علوم الشريعة، خدمة للعلم وطلابه، حيث قامت الجامعة بطباعة عدد من الكتب، منها: كتاب المفصّل في القواعد الفقهية، لفضيلة الشيخ الدكتور/ يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين ـ عضو هيئة كبار العلماء، وعضو هيئة التدريس في المعهد العالي للقضاء.

ومنها: كتاب شرح الأربعين النووية، وكتاب شرح الأصول في علم

الأصول، وكتاب شرح مختصر الروضة للطوفي، وكلها لصاحب المعالي الشيخ/ سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري.

والعلوم وإن كانت تتعاظم شرفاً، وتطلع في سماء العلا كواكبها شرفاً، فلا ريب أن علم الفقه وأصوله واسطة عقدها، ورابطة حلّها وعقدها، به يُعرف الحلال والحرام، ويتبين الخاص والعام.

ولا غرو فإنَّه من أشرف العلوم قدراً وأعظمها أجراً، وأتمّها عائدة، وأعمّها فائدة، وأعلاها مرتبة، وأسناها منقبة، أهله قِوام الدّين وقُوّامه، وبهم ائتلافه وانتظامه، وهم المرجع في التدريس والفتوى، ومحل الصدر عند النوازل والبلوى، وهذا الفن لا يدركه إلا من كشف عن ساعد الجد وشمَّر، وجانب الفضول وعمَّر، وخاض البحَار، وقطع الفيافي والقفار، يدأب في التكرار والمطالعة بكرة وأصيلاً، ينصب نفسه للتأليف والتحرير بياتاً ومقيلاً، ليس له همَّة إلاّ معضلة يحلها، أو مستصعبة عزت على القاصرين إلاّ ويرتقي إليها ويحلها، على أن ذلك ليس من كسب العبد، وإنما هو من فضل الله يؤتيه من يشاء، وما أحسن قول القائل:

عـاب التفقه قـوم لا عقـول لهم ❊ وما عليه إذا عابوه من ضرر

ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة ❊ ألا يرى ضوْءها مَنْ ليس ذا بصر

وإذا كان هذا الوصف لواسطة عقد علوم الشريعة فقهاً وأصولاً فإن علم أصول الفقه يحظى بالقسط الأكبر والنصيب الأوفر، وما ذاك إلاّ لأنه يمكّن المجتهدين من النظر في أصول الشريعة ومقاصدها، وقواعد الدين ونصوصه، واستنباط الأحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية بإتقان وبصيرة، فهو مأوى الأئمة، وملجأ المجتهدين، ومورد المفتين عند تحقيق المسائل وتحرير الأقوال، وتقرير الأدلة وتأصيل وتقعيد الحكم في النوازل، وما يجد في

حياة المسلمين، مسائله مبنية على أسس متينة، وقواعد راسخة تربط بين المنقول والمعقول، ولكن لا يصل إلى استخراج درره وسبر أغواره والارتواء من نميره إلاّ أصحاب الهمم العالية من العلماء الفحول، وطلاب العلم أصحاب الأيدي الممتدة في الطول، والأقدام الراسخة في معرفة كل مهم من جواب وسول، الذين وردوا زلال هذا الفن فرووا غليلهم، وشفوا عليلهم.

وقصارى القول: إن الذي يستطيع أن يضبط الأحكام بإتقان، ويساير أحوال الناس مع تغير المكان، وتبدل الزمان، مع الأخذ بالثبات على القواعد والرسوخ في الأصول، وعدم التنازل عن المبادئ والأهداف، والمرونة التي يصحبها سعة في الأفق، وعمق النظر مع عدم الخروج عما قصدته الشريعة، وجاءت به مصالح العباد في المعاش والمعاد، ذلك لا م به إلاّ من ا لنيل حظ وافر في علم الأصول، فدرسوه دراسة مبنية على أسس سليمة ومناهج صحيحة مبنية على سليم الاعتقاد، وحسن الاتباع، وصحيح النقل، وصريح العقل، مع العناية بأخذ زبدة هذا العلم، وجوهره في التقعيد والاستدلال والتطبيق، والإيضاح بالأمثلة الواقعيّة، وترك الخيال، والبعد عن الجدل، واطراح الفروض العقلية، والفلسفات الكلامية والسفسطات المنطقية.

وقد حظي هذا العلم بالاهتمام والعناية والاجتهاد والرعاية فألفت فيه المؤلفات على اختلاف المدارس والمذاهب، وقد كان لمذهب الحنابلة وعلمائه الأجلاء .رحمهم الله .القدح المعلى، ودور المجلّي، في خدمة هذا العلم، ومن يستقرئ المؤلفات فيه من فنون وشروح وتلخيصات يدرك ذلك جلياً بيد أن من يجيل النظر في مؤلفات الحنابلة الأصولية يشده كتاب متميز وسفر له في القلوب مكانة وحيّز جليل القدر فائح العطر روضة غناء، وحديقة فيحاء، قد

حمل نصيباً من اسمه وتبوأ منزلة من محتواه ورسمه، ذلك هو كتاب: "روضة الناظر وجنة المناظر" لأبي محمد عبد الله/ موفق الدين ابن قدامة المقدسي، ولله در الإمام الصرصري حيث يقول عنه:

وروضته ذات الأصول كروضة ❊ أماست لها الأزهار أنفاس شمأل
تدل على المنطوق أوفى دلالـــة ❊ وتحمل في المفهوم أحسن محمل

لقد سرى ذكر الروضة في الركبان، وذاع صيتها عبر المكان والزمان، وكانت محل عناية العلماء والأصوليين شرحاً واختصاراً، دراسة وتحقيقاً، ولعل من أشهر من عني بها الإمام أبو الربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي، فقد اختصرها في كتاب سماه: "البلبل"، قال عنه ابن بدران: "إنه مشتمل على الدلائل مع التحقيق والتدقيق والترتيب والتهذيب"، ثم شرح مختصره لها في شرح مطول ضافٍ نفيسٍ، قال عنه ابن بدران: "وقد شرح مؤلفه في مجلدين، حقق فيهما فن الأصول، وأبان فيه عن باعٍ واسعٍ في هذا الفن، واطلاعٍ وافرٍ، وبالجملة فهو أحسن ما صُنِّف في هذا الفن وأجمعه وأنفعه، مع سهولة العبارة، وسبكها في قالبٍ يدخل القلوب بلا استئذان".

والإمام نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي، المتوفى سنة ٧١٦هـ، من علماء الحنابلة الذين عنوا بكتاب الروضة وتقريبه وتسهيله حيث عمد إلى اختصاره بكتابٍ سماه: "مختصر الروضة" وهو الكتاب الذي بين أيدينا.

فقد رام مؤلفه منه تجريد المسائل وتحرير الدلائل، وتحصيل المقاصد وتقريب الفوائد، لتسهيل حفظه على المبتدئ، وليكون تذكرة للمنتهي ليعم الانتفاع به، ويكثر المشتغلون به مع تميزه بلغة رصينة، وأسلوب جزل، فهذا المختصر له أهميته وقدره ومنزلته التي لا يستغني عنها طالب علم أصول الفقه

والباحث الفهم في مسائله والمعنيّ بمؤلفاته وكتبه.

ومن أجل ذلك كله ولما تميّز به هذا الكتاب من مكانة علمية ومنزلة أصولية فقد تبنّت جامعة المعرفة العالمية المبادرة إلى طباعته ونشره، وتقريره على طلابها ضمن المناهج الدراسية في تخصص أصول الفقه، وقد كان هذا المختصر محل عناية العلماء بالشرح والبيان، ومن أهم شروحه، شرح صاحب المعالي الشيخ/ سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري. حفظه الله.

وقد امتاز هذا الكتاب. أعني شرح المختصر. بعدة مميزات، منها:

١. أن المتن المشروح من أهم مختصرات الحنابلة، وقد اختصر فيه مؤلفه نجم الدين سليمان الطوفي ـ رحمه الله تعالى ـ كتاباً من أهم مؤلفات الحنابلة الأصولية، وهو روضة الناظر للموفق أبي محمد ابن قدامة المقدسي. رحمه الله تعالى ..

٢. قلة الشروح المعاصرة التي شرحت هذا المتن، ولهذا فهذا الشرح يعد إضافة للمكتبة الأصولية الحنبلية.

٣. سهولة الشرح، وتقريبه لعلم أصول الفقه بألفاظ جزلة وسهلة.

٤. أن الشرح مليء بالفروع الفقهية، والتخريجات الفقهية على المسائل الأصولية، مما يمكن طالب علم الأصول من الدُّربة على تخريج المسائل الفقهية، وبنائها على الأُصول.

٥. عناية الشارح ونعني به فضيلة الشيخ الدكتور/ سعد بن ناصر الشثري. حفظه الله ـ بالمسائل العقدية، وتحريرها، ورد المسائل الأصولية إلى جذورها العقدية، وبيان مذهب أهل السنة والجماعة في مسائل هذا العلم المهمة.

فجزى الله فضيلته على هذا الشرح المتميز خير الجزاء، وجعله في

موازين أعماله، ونفع بعلمه.

وختامًا، فإن كل مطلع على الجهود العلمية والمؤسسات التعليمية يستوقفه بإعجاب بالغ وثناء عاطر ما تضطلع به جامعة المعرفة العالمية من جهود مباركة في نشر العلم في أرجاء العالم.

فنسأل الله أن يبارك في جهود العاملين فيها، وأن يوفق إداريِّيها وموظفيها وأساتذتها وطلابها لكل خير، وأن يجزيهم خير الجزاء على ما يقومون به من أعمالٍ جليلة في خدمة العلم وشُداته، وأن يكلل أعمالهم بالإخلاص والقبول والتوفيق والتسديد والتأييد، وأن يستعمل الجميع في طاعته، ويوفقهم لنشر العلم النافع، إنه جواد كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب

أ.د. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

إمام وخطيب المسجد الحرام

أستاذ الدراسات العليا الشرعية بجامعة أم القرى

مدير جامعة المعرفة العالمية

مكة المكرمة

١٤٣١/٥/٢٠هـ

بين يدي الشرح

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

وبعد: فإن علم أصول الفقه لما كان هو العلم الذي يأوي إليه الأعلام، والملجأ الذي يُلجأ إليه عند تحرير المسائل، وتقرير الدلائل في غالب الأحكام، وكانت مسائله المقررة، وقواعده المحررة، تؤخذ مسلمة عند كثير من الناظرين، كما نراه في مباحث الباحثين وتصانيف المصنفين، فإن أحدهم إذا استشهد لما قاله بكلمة من كلام أهل الأصول، أذعن له المنازعون، وإن كانوا من الفحول، لاعتقادهم أن مسائل هذا الفن، قواعد مؤسسة على الحق الحقيق بالقبول، مربوطة بأدلة علمية من المعقول والمنقول[1]. ولذلك حرص كثير من أهل العلم عليه من أجل تبيين غايته وتوضيح مسالكه ومسائله، ومن الكتب المهمة عند الحنابلة كتاب "مختصر الروضة"، المعروف بـ "البلبل" لنجم الدين الطوفي الحنبلي رحمه الله، وقد اختصره المؤلف من كتاب روضة الناظر لابن قدامة المقدسي رحمه الله، وأعاد ترتيبه وزاد عليه مسائل وخالف في أخرى، وهو من كتب المذهب المفيدة التي حوت أكثر مسائل الأصول وقد تبع فيها المؤلف طريقة تحقيق قواعد الأصول وبحث المسائل وشرح التعريفات، وهي إحدى طرق التأليف في هذا الفن، حيث أتى بأدلة المخالف وناقشها، وقد أفاد فيها وأجاد، إلا أن الطوفي في بعض المواطن قد خالف معتقد أهل السنة والجماعة ولربما خالف المذهب ولربما ناقض نفسه أيضاً في بعض أقواله.

---

(١) مقدمة إرشاد الفحول

ولما خفت هذه المخالفات على كثير من طلبة العلم فضلاً عن فهمها، بقي هذا المختصر غير مرغوب فيه من قبل كثير من طلاب العلم، حتى وفق الله شيخنا الفقيه الأصولي الحنبلي الدكتور سعد بن ناصر الشثري ـ حفظه الله وسلمه فاه ـ بشرح هذا المختصر، فقد شرحه ـ حماه الله ـ شرحاً بسط فيه القول فكان بعيداً عن غرائب الألفاظ التي توجب النفور، وعن طريقة السرد التي لا تحقق المأمول، ونبه شيخنا على العديد من المخالفات العقدية والمذهبية التي شرد بها الطوفي؛ وقد رأينا شيخنا قد وُفق فيه أيما توفيق فخرج هذا الشرح بكلمات سلسة وعبارات متناسقة وفقرات مرتبة وأمثلة واضحة بينة.

وقد كان هذا الشرح المبارك في مسجد العقيل بحي مسرة بمدينة الطائف على مدار ثلاث سنوات في فترة الصيف من السنة السابعة والعشرين إلى السنة التاسعة والعشرين بعد المائة الرابعة من الألفية الثانية للهجرة المباركة، ورغبة منا في أن يعم نفعه مسموعاً ومقروءاً قمنا ـ بعد إذن شيخنا سلمه الله ـ بإخراجه وترتيبه، وتخريج أحاديثه مكتفين في الغالب بالصحيحين إذا كان الحديث فيهما أو أحدهما، وترجمنا للأعلام عند أول موضع يرد فيه ذكر العلم، باستثناء الأئمة الأربعة؛ لشهرتهم رحمهم الله، ولا نظن أن أحداً يدرس مثل هذا الفن وهو لا يعلم من هم الأئمة الأربعة، ثم أفردنا المؤلف بترجمة يسيرة، ووضعنا فهارس تيسر على الطالب الوصول إلى مبتغاه.

هذا والله نسأل أن يجزي شيخنا خير الجزاء وأن يغفر له ولوالديه، ولكل من ساهم في إخراج هذا الشرح ونشره وتعليمه وتعلمه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وكتبه

شريف نصير عبد الناصر البشبيشي

ترجمة المؤلف

نسبه ومولده:

هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد، الطُّوفي الصرصري ثم البغدادي، الفقيه الأصولي المتفنن، نجم الدين أبو الربيع.

ولد سنة بضع وسبعين وسبعمائة بقرية "طوفى" ببغداد ثم قدم الشام فسكنها مدة، ثم أقام بمصر مدة، واشتغل في الفنون، وكان قوي الحافظة شديد الذكاء.

حفظ "مختصر الخرقي" في الفقه، و"اللمع" في النحو لابن جني، وقرأ الفقه على الشيخ زين الدين علي بن محمد الصرصري الحنبلي النحوي، المعروف بابن البوقي، وكان فاضلاً صالحاً.

شيوخه:

قرأ على الزين علي بن محمد الصرصرى، وبحث المحرر على التقي الزريراتي، وقرأ العربية على محمد بن الحسين الموصلي، وقرأ العلوم وناظر وبحث ببغداد. وله سماع على الرشيد بن أبي القاسم، وأبي بكر بن أحمد بن أبي البدر، وإسماعيل بن أحمد بن الطبال.

قال الكمال جعفر: كان كثير المطالعة، أظنه طالع أكثر كتب خزائن قوص، قالوا: كانت قوته في الحفظ أكثر منها في الفهم.

قال ابن مكتوم في ترجمته من تاريخ النحاة: قدم علينا في زي الفقراء، ثم تقدم عند الحنابلة فرفع عليه الحارثي أنه وقع في حق عائشة فعزره وسجنه وصرف عن جهاته ثم أطلق فسافر إلى قوص فأقام بها مدة، وحج سنة: ٧١٤هـ وجاور سنة ٧١٥ هـ ثم حج ونزل إلى الشام فمات ببلد الخليل في رجب سنة ٧١٦ هـ.

وقال ابن رجب: وذكر بعض شيوخنا عمن حدثه أنه كان يظهر التوبة ويتبرأ من الرفض وهو محبوس.

قال ابن حجر في الدرر الكامنة: وقرأت بخط القطب الحلبي كان فاضلاً له معرفة، وكان مقتصداً في لباسه وأحواله، متقللاً من الدنيا، وكان يتهم بالرفض، وله قصيدة بغض فيها بعض الصحابة.

وقال الذهبي: كان ديناً ساكناً قانعاً، ويقال: إنه تاب عن الرفض، ونسب إليه أنه قال عن نفسه:

حنبلي رافضي ظاهري أشعري إنها إحدى الكبر

مصنفاته:

أكثر من التأليف فمن تصانيفه:

- بغية السائل في أمهات المسائل في أصول الدين.
- وقصيدة في العقيدة وشرحها.
- مختصر الروضة في أصول الفقه، وهو محل هذا الشرح المبارك.
- شرح مختصر الروضة في أصول الفقه
- مختصر الحاصل في أصول الفقه.
- القواعد الكبرى والقواعد الصغرى.
- الإكسير في قواعد التفسير.
- الرياض النواضر في الأشباه والنظائر.
- بغية الواصل إلى معرفة الفواصل.
- مصنف في الجدل، وآخر صغير.
- درء القول القبيح في التحسين والتقبيح.
- مختصر المحصول.
- دفع التعارض عما يوهم التناقض في الكتاب والسنة.

- معراج الوصول إلى علم الأصول، في أصول الفقه.
- الرسالة العلوية في القواعد العربية.
- غفلة المجتاز في علم الحقيقة والمجاز.
- الباهر في أحكام الباطن والظاهر.
- رد على الاتحادية.
- مختصر المعالين. جزئين. فيه: أن الفاتحة متضمنة لجميع القرآن.
- الذريعة إلى معرفة أسرار الشريعة.
- الرحيق السلسل في الأدب المسلسل.
- تحفة أهل الأدب في معرفة لسان العرب.
- الانتصارات الإسلامية في دفع شبه النصرانية.
- شرح نصف " مختصر الخرقي " في الفقه.
- مقدمة في علم الفرائض.
- شرح مختصر التبريزي.
- شرح مقامات الحريري. مجلدين.
- موائد الحيس في شعر امرئ القيس.
- شرح أربعين النووي.

وغير ذلك من المصنفات، واختصر كثيراً من كتب الأصول، ومن كتب الحديث أيضاً، ولكن لم يكن له فيه يد فوقع في كلامه تخبيط كثير.

وفاته:

كان موته ببلدة الخليل في رجب سنة **٧١٦** هـ[1].

---

(١) بتصرف من ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر، مع أننا لم أجد له ترجمة تشرح الصدر في جل كتب التراجم.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فنشرح في هذه الدروس كتاب "مختصر الروضة" لنجم الدين الطوفي، وهذا الكتاب المختصر حاول المؤلف فيه جمع كل ما يتعلق بهذا العلم ورغب أن يكون كتابه هذا حاوياً لما في كتاب "روضة الناظر"؛ وكتاب "روضة الناظر" يمتاز بأنه قد بحث أشهر مسائل علم الأصول، وأورد الأدلة والأقوال في هذه المسائل ورجح بينها.

وهذا العلم .علم أصول الفقه .علم مفيد وله أهميته، وذلك أن هذا العلم يُدرس فيه ما يصلح أن يكون دليلاً، وما لا يصلح أن يكون دليلا، ويدرس فيه تصور الأحكام التي ترد في النصوص الشرعية ويتكلم بها الفقهاء، بحيث يبين معنى الواجب،ومعني المحرم،وهكذا.

وكذلك يدرس في هذا العلم كيفية فهم الأدلة فإذا وردتنا آية في القرآن أو حديث عن النبي ﷺ، فكيف نفهم كلامها وننزله على مرادهما.

ثم بعد ذلك هذا العلم يفيد في بيان من يصلح للاجتهاد وأخذ الأحكام من الأدلة مباشرة، ومن يجوز له أن يفتي، ومن يجوز أن يعتمد قوله في الفتوى ويعمل به، وبيان من ليس أهلاً للفتيا من أجل أن نحذره.

ومن ثم فإن علم أصول الفقه، تبرز أهميته في عدد من الأمور:

الأمر الأول: أنه علم شرعي، فيتقرب لله تعالى بتعلمه، فهو طاعة من الطاعات التي يتقرب بها إلى الله تعالى ويثاب العبد عليها في آخرته، فتدخل في

عموم النصوص الواردة في الترغيب في التعلم كما قال النبي ﷺ: «**من سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا سَهَّلَ الله له طَرِيقًا إلى الْجَنَّةِ**»(١)، وبذلك يتدرج إلى درجة العلماء العالية، قال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩] وكما قال النبي ﷺ: «**وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ على الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ على سَائِرِ الْكَوَاكِبِ**»(١).

الأمر الثاني: أن هذا العلم، علم أصول الفقه يتمكن به الإنسان من فهم القرآن العظيم، وفهم سنة النبي ﷺ، ومن كان عارفاً بعلم الأصول فإنه إذا قرأ آية أو حديثاً فإنه يتمكن بإذن الله من فهمها وتنزيلها على مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ، فحينئذ يدخل المتعلم لهذا العلم في قول النبي ﷺ: «**خَيْرُكُمْ من تَعَلَّمَ القرآن وَعَلَّمَهُ**»(٢)، فإن تعلم القرآن ليس مقتصراً على الحفظ، لأن تدبر معاني القرآن وفهمها جزء من أجزاء التعلم، وحينئذ يسلم الإنسان من مثل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

الأمر الثالث: أن الإنسان عندما يقرأ في كلام أهل العلم، سواء في التفسير أو في الحديث أو في المعتقد، يجد أنهم يستعملون مصطلحات، هذه المصطلحات لا يوجد تفسير لها إلا في علم الأصول، ومن أمثلة ذلك عندما يقول الفقيه: هذه واقعة عين. ما المراد بذلك؟ عندما يقول الفقيه: هذا نص في المسألة. ما المراد بكلمة: النص؟ عندما يقول: تعارض مفهوم ومنطوق. ما المراد بالتعارض؟ وما المراد بالمفهوم؟ وما المراد بالمنطوق؟ كل هذه مصطلحات تبحث في علم الأصول، وتفسر في هذا العلم.

الأمر الرابع: أن الإنسان يستفيد من تعلم علم الأصول فهم ما يتكلم

---

(١) جزء من حديث أخرجه أبو داود(٣٦٤١) والترمذي(٢٦٨٢) وابن ماجه(٢٢٣)

(٢) أخرجه البخاري(٥٠٢٧).

به الناس، وما يكتبونه، سواء كان ذلك في الوصايا، أو في الأوقاف، أوفي الأنظمة، كل هذه إذا أراد الإنسان أن يفهمها فهماً صحيحاً، فإنه لابد أن يعرف القواعد الأصولية.

فإن قال قائل: إن علم أصول الفقه علم صعب.

قيل له: صعوبة العلم تجعل الإنسان يبذل الأسباب لتعلمه، ولو تركت العلوم لصعوبتها لتركت جميع العلوم، إذ ما من علم إلا وفيه نسبة من الصعوبة، ولكن الموفقين هم الذين يبذلون من أنفسهم فتزول عنهم تلك الصعوبة بإذن الله تعالى.

فإن قال قائل: إن هذا العلم يوجد فيه نوع تأثر ببعض العلوم التي حذر منها بعض علماء أهل الإسلام، من علم الكلام أو المنطق أو نحو ذلك من العلوم!

فيقال له: هذه العلوم مجرد آلات، ينبغي أن نفهمها على وفق القواعد الشرعية، فمن كان عارفاً بعلم الأصول تمكن من جعل هذه العلوم موافقة لطريقة أهل الإسلام، ومن ثم يكون المرء بتعلم الأصول مجتنباً للمحاذير التي تكون موجودة عند دراسة هذه العلوم.

* * * * *

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم الفاضل العلامة نجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي تغمده الله تعالى برحمته:

اللَّهُمَّ يَا وَاجِبَ الْوُجُودِ، وَيَا مُوجِدَ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَيَا مُفِيضَ الْخَيْرِ وَالْجُودِ، عَلَى كُلِّ قَاصٍ مِنْ خَلْقِهِ وَدَانٍ. وَيَا ذَا الْقُدْرَةِ الْقَدِيمَةِ الْبَاهِرَةِ، وَالْقُوَّةِ الْعَظِيمَةِ الْقَاهِرَةِ، وَيَا سُلْطَانَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَجَامِعَ الْإِنْسِ وَالْجَانِّ.

تَنَزَّهْتَ فِي حِكْمَتِكَ عَنْ لُحُوقِ النَّدَمِ، وَتَفَرَّدْتَ فِي إِلَهِيَّتِكَ بِخَوَاصِّ الْقِدَمِ،

جعل المؤلف مقدمة لهذا الكتاب، وهذه المقدمة بناها على الأساليب البلاغية، وعادة الأصوليين الاقتصار في الكلام على أقل مقدار، ولعل تميز المؤلف في النواحي العربية جعله يقدم بمثل هذه المقدمة. وابتدأها بدعاء الله عز وجل.

* **قوله: يا موجد كل موجو** : يعني من المخلوقات وإلا فإن الله تعالى موجود وصفاته موجودات فلا تدخل في هذا العموم.

* **قوله: يا ذا القدرة القديمة:** قدرة الله عز وجل منها ما هو قديم فإن الله قادر على كل شيء أزلاً، وكذلك قدرة الله مستمرة فهو سبحانه مازال ولازال قادراً على كل شيء، وإنما أراد بذلك تخصيص القدرة القديمة من أجل بيان أنها مما يختص به رب العزة والجلال.

* **قوله: تنزهت في حكمتك عن لحوق الندم:** التنزيه: يعني التبرئة من كل سوء، والحكمة المراد بها: اختيار الأمور المناسبة لها يناسبها.

* **قوله: وتفردت في إلهيتك:** يعني في صفاتك.

وَتَعَالَيْتَ فِي أَزَلِيَّتِكَ عَنْ سَوَابِقِ الْعَدَمِ ، وَتَقَدَّسْتَ عَنْ لَوَاحِقِ الْإِمْكَانِ.

أَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَسَلْتَ مِنْ وَابِلِ الْآلَاءِ، وَأَزَلْتَ مِنْ وَبِيلِ اللأْوَاءِ، وَأَسْبَلْتَ مِنْ جَمِيلِ الْغِطَاءِ، وَأَزْلَلْتَ مِنْ كَفِيلِ الْإِحْسَانِ. حَمْدَ مَنْ آمَنَ بِكَ وَأَسْلَمَ، وَفَوَّضَ إِلَيْكَ أَمْرَهُ وَسَلَّمَ، وَانْقَادَ لِأَوَامِرِكَ وَاسْتَسْلَمَ، وَخَضَعَ لِعِزِّكَ الْقَاهِرِ وَدَانَ.

---

* **قوله: تقدست عن لواحق الإمكان:** المراد بلواحق الإمكان ما يلحق الممكنات، وما يلحق الممكنات نوعان:

النوع الأول: صفات نقص، فهذه ينزه رب العالمين عنها مثل العدم والموت والنوم.

النوع الثاني: صفات للممكنات تعتبر صفات كمال لا يلحقها نقص بوجه من الوجوه فمثل هذه الصفات يوصف رب العالمين بها، فإنه ما من كمال للمخلوق لا يتطرق إليه النقص بوجه من الوجوه، إلا والخالق سبحانه أولى بذلك الوصف، وقد فسر بذلك قوله تعالى:﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

* **قوله: الآلاء:** يعني النعم فإن الله جل وعلا قد أسبغ على عباده النعم.

* **قوله: اللأواء:** يعني ما يشتكي منه الناس ولا يرغبون فيه.

* **قوله: فوض إليك أمره وسلم:** يعني أنه أسند الأمور إلى رب العالمين

وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى سَيِّدِ أَصْفِيَائِكَ، وَخَاتَمِ أَنْبِيَائِكَ، وَفَاتِحِ أَوْلِيَائِكَ، مُحَمَّدٍ سَيِّدِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ.

وَأَنْ تَرْزُقَنِي الْعِلْمَ وَتُوَفِّقَنِي لِلْعَمَلِ، وَتُبَلِّغَنِي مِنْهُمَا نِهَايَةَ السُّولِ وَغَايَةَ الْأَمَلِ، وَتَفْسَحَ لِي فِي الْمُدَّةِ وَتَنْسَأَ لِي فِي الْأَجَلِ، فِي حُسْنِ دِينٍ وَإِصْلَاحِ شَأْنٍ.

وَأَنْ تُحْيِيَنِي حَيَاةً طَيِّبَةً هَنِيئَةً، وَتَقِيَنِي فِي الدِّينِ وَالْبَدَنِ أَعْرَاضَ السُّوءِ الرَّدِيَّةَ، وَتَعْدِلَ بِي عَنِ السُّبُلِ الْوَبِيَّةِ إِلَى الْمُرِيَّةِ، وَتَعْصِمَنِي مِنْ حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ.

وَتَقْبِضَنِي عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَجْعَلَ رَحْمَتَكَ لِي مِنَ النَّارِ جُنَّةً، وَتُدْخِلَنِي بِفَضْلِكَ وَجُودِكَ الْجَنَّةَ، وَمَنُّكَ يَا مَنَّانُ.

وَتُلْحِقَنِي بِالنَّبِيِّ الْأَفْضَلِ، وَالرَّسُولِ الْمُكَمَّلِ الْأَكْمَلِ، الَّذِي خَتَمَ النُّبُوَّةَ وَأَكْمَلَ، وَمَنْ تَبِعَهُ بِإِحْسَانٍ.

---

* **قوله: وأسألك أن تصلي على سيد أصفيائك:** سأل الله تعالى أن يصلي على النبي محمد ﷺ، ثم قدم سؤال رب العالمين أن يرزقه العلم، وأن يوفقه للعمل.

ولا شك أن الدعاء له مكانة عظيمة فإن الله قد وعد عباده بإجابة دعائهم فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، فسؤال الله العلم والعمل والفسح في المدة، والحياة الطيبة، والابتعاد عن الأعراض السيئة من أعظم الأسباب التي يحصل الإنسان بها العلم.

وباب الدعاء باب عظيم وأثره على الناس عظيم، فمن استعان بالله وسأله أن ييسر له العلم وأن يهيئ له طرقه، تيسرت له بإذن ربه عز وجل.

وَأَسْأَلُكَ التَّسْدِيدَ فِي تَأْلِيفِ كِتَابٍ فِي الْأُصُولِ. حَجْمُهُ يَقْصُرُ وَعِلْمُهُ يَطُولُ. مُتَضَمِّنٌ مَا فِي الرَّوْضَةِ الْقُدَامِيَّةِ، الصَّادِرَةِ عَنِ الصِّنَاعَةِ الْمَقْدِسِيَّةِ. غَيْرَ خَالٍ مِنْ فَوَائِدَ زَوَائِدَ، وَشَوَارِدَ فَرَائِدَ، فِي الْمَتْنِ وَالدَّلِيلِ، وَالْخِلَافِ وَالتَّعْلِيلِ، مَعَ تَقْرِيبِ الْإِفْهَامِ عَلَى الْأَفْهَامِ، وَإِزَالَةِ اللَّبْسِ عَنْهُ مَعَ الْإِبْهَامِ. حَاوِيًا لِأَكْثَرَ مِنْ عِلْمِهِ، فِي دُونِ شَطْرِ حَجْمِهِ، مُقِرًّا لَهُ غَالِبًا عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ التَّرْتِيبِ، وَإِنْ كَانَ لَيْسَ إِلَى قَلْبِي بِحَبِيبٍ وَلَا قَرِيبٍ. سَائِلاً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وُفُورَ النَّصِيبِ، مِنْ جَمِيلِ الْأَجْرِ، وَجَزِيلِ الثَّوَابِ، وَدُعَاءٍ مُسْتَجَابٍ، وَثَنَاءٍ مُسْتَطَابٍ، اللَّهُمَّ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

فَنَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

---

* **قوله: وأسألك التسديد في تأليف كتاب في الأصول...**:هنا سأل المؤلف الله عز وجل أن يوفقه لتأليف كتاب في الأصول، ثم بين أن هذا الكتاب مختصر لكتاب الروضة القدامية نسبة لمؤلفها ابن قدامة رحمه الله.

* **قوله: الصادرة عن الصناعة المقدسية**: نسبة إلى بيت المقدس لأن آل قدامة في الأصل من بيت المقدس.

* **قوله: غير خال من فوائد زوائد**:أي إن هناك فوائد قد زادها على ما في الكتاب، مع أنها سهلة الأسلوب أسهل من الروضة مع اختصار هذا الكتاب.

* **قوله: مقراً له غالباً على ما هو عليه من الترتيب**: وعد المؤلف بأنه سيلتزم بترتيب كتاب الروضة، وإن كان قد خالف في بعض المواطن، والمؤلف لم يرتض هذا الترتيب، وجمهور الأصوليين ينحون نحواً آخر في ترتيب كتبهم الأصولية، وعلى كل فالترتيب مسألة اصطلاحية ولكل جماعة اصطلاحهم.

أُصُولُ الْفِقْهِ: أَدِلَّتُهُ، فَلْنَتَكَلَّمْ عَلَيْهَا أَصْلاً أَصْلاً بَعْدَ ذِكْرِ مُقَدِّمَةٍ تَشْتَمِلُ عَلَى فُصُولٍ.

الْفَصْلُ الأَوَّلُ: فِي تَعْرِيفِ أُصُولِ الْفِقْهِ:

وَهُوَ مُرَكَّبٌ مِنْ مُضَافٍ وَمُضَافٍ إِلَيْهِ. وَمَا كَانَ كَذَلِكَ فَتَعْرِيفُهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُرَكَّبٌ إِجْمَالِيٌّ لَقَبِيٌّ، وَبِاعْتِبَارِ كُلٍّ مِنْ مُفْرَدَاتِهِ تَفْصِيلِيٌّ.

فَأُصُولُ الْفِقْهِ بِالاِعْتِبَارِ الأَوَّلِ: الْعِلْمُ بِالْقَوَاعِدِ الَّتِي يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى.....

هذه مقدمة في تعريف هذا العلم، وكون بعض الألفاظ مجملة أو فيها صعوبة لا يكون ذلك صاداً لك أيها الطالب عن تعلم هذا العلم، فإنه لو قدر أن إنساناً لم يعرف جميع هذا الفصل الأول فإنه لا يؤثر على معرفته لعلم الأصول لأنها مجرد مقدمة تعريفية وليست من صلب علم الأصول، وكثير من أهل العلم يرون أن التعمق في التعريفات غير مناسب ولا يناسب أن ندخله في العلم، ولذلك قال الشاطبي ما معناه: **التعمق في التعريفات بدعة**.

والمقصود أنه لا يصدكم صعوبة بعض الألفاظ عن تعلم علم أصول الفقه.

* **قوله: العلم بالقواعد:** القاعدة هي حكم كلي يطبق على جزئيات كثيرة. مثال ذلك: عندما نقول: كل مكان في الطائف بارد، هذه قاعدة كلية، وعندما تقول: الشفا، فهذه جزئية نطبق عليها القاعدة.

إذن القاعدة هي حكم كلي يطبق على جزئيات كثيرة، كذلك علم أصول الفقه هو قواعد كلية لها جزئيات متعددة، هذه الجزئيات يتوصل بواسطتها إلى أخذ الأحكام من الأدلة.